سورة الهمزة

تسع آيات مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝﴾

فيه مسائل:

المسألة الأولى: الويل لفظة الذم والسخط، وهي كلمة كل مكروب يتولّون فيدعو بالويل وأصله وي لفلان، ثم كثرت في كلامهم فوُصلت باللام، وروي أنه جبل في جهنم. **إن قيل**: لمَ قال ههنا: ﴿وَيْلٌ﴾ وفي موضع آخر: ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ﴾ [الأنبياء: ١٨]؟ **قلنا**: لأن ثمة قالوا: ﴿يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٤] فقال: ﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ﴾ وههنا نكّر لأنه لا يعلم كنهه إلا الله، وقيل في (ويل) إنها كلمة تقبيح، و(ويس) استصغار و(ويح) ترحُّم، فنبه بهذا على قبح هذا الفعل.

واختلفوا في الوعيد الذي في هذه السورة هل يتناول كل من يتمسك بهذه الطريقة في الأفعال الرديئة أو هو مخصوص بأقوام معينين: أما المحققون فقالوا: إنه عام لكل من يفعل هذا الفعل كائنًا من كان وذلك لأن خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ وقال آخرون: إنه مختص بأناس معينين. ثم قال عطاء والكلبي: نزلت في الأخنس بن شريق، كان يلمز الناس ويغتابهم وخاصة رسول الله ﷺ. وقال مقاتل: نزلت في الوليد بن المغيرة، كان يغتاب النبي ﷺ من ورائه ويطعن عليه في وجهه، وقال محمد بن إسحاق: ما زلنا نسمع أن هذه السورة نزلت في أمية بن خلف. قال الفراء: وكون اللفظ عامًا لا ينافي أن يكون المراد منه شخصًا معينًا، كما أن إنسانًا لو قال لك: (لا أزورك أبدًا) فتقول أنت: (كل من لم يزرني لا أزوره) وأنت إنما تريده بهذه الجملة العامة، وهذا هو المسمى في أصول الفقه بتخصيص العام بقرينة العرف.

المسألة الثانية: الهمز: الكسر، قال تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ﴾ [القلم: ١١] واللمز: الطعن، والمراد الكسر من أعراض الناس والغض منهم والطعن فيهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١] وبناء فُعَلة يدل على أن ذلك عادة منه قد ضري بها، ونحوهما اللُّعنة والضحكة، وقرئ: (ويل لكل همزة لمزة) بسكون الميم وهي المسخرة التي تأتي بالأوابد والأضاحيك فيضحك منه ويشتم. **وللمفسرين ألفاظ: أحدها**: قال ابن عباس: الهُمَزة المغتاب، واللُّمَزة العياب. **وثانيها**: قال أبو زيد: الهمزة باليد واللمزة باللسان. **وثالثها**: قال أبو العالية: الهمزة بالمواجهة واللمزة بظهر الغيب. **ورابعها**: الهمزة جهرًا واللمزة سرًا بالحاجب والعين. **وخامسها**: الهمزة واللمزة الذي

يلقب الناس بما يكرهون، وكان الوليد بن المغيرة يفعل ذلك، لكنه لا يليق بمنصب الرياسة إنما ذلك من عادة السقاط، ويدخل فيه من يحاكي الناس بأقوالهم وأفعالهم وأصواتهم ليضحكوا. وقد حكى الحكم بن العاص مشية النبي ﷺ فنفاه عن المدينة ولعنه. **وسادسها**: قال الحسن: الهمزة الذي يهمز جليسه يكسر عليه عينه واللمزة الذي يذكر أخاه بالسوء ويعيبه. **وسابعها**: عن أبي الجوزاء قال: قلت لابن عباس: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ من هؤلاء الذين يذمهم الله بالويل؟! فقال: هم المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الناعتون للناس بالعيب.

واعلم أن جميع هذه الوجوه متقاربة راجعة إلى أصل واحد وهو الطعن وإظهار العيب، ثم هذا على قسمين، فإنه إما أن يكون بالجد كما يكون عند الحسد والحقد، وإما أن يكون بالهزل كما يكون عند السخرية والإضحاك، وكل واحد من القسمين إما أن يكون في أمر يتعلق بالدين، وهو ما يتعلق بالصورة أو المشي أو الجلوس وأنواعه كثيرة وهي غير مضبوطة، ثم إظهار العيب في هذه الأقسام الأربعة قد يكون لحاضر وقد يكون لغائب، وعلى التقديرين فقد يكون باللفظ وقد يكون بإشارة الرأس والعين وغيرهما، وكل ذلك داخل تحت النهي والزجر، إنما البحث في أن اللفظ بحسب اللغة موضوع لماذا، فما كان اللفظ موضوعًا له كان منهيًا بحسب اللفظ، وما لم يكن اللفظ موضوعًا له كان داخلًا تحت النهي بحسب القياس الجلي، ولما كان الرسول أعظم الناس منصبًا في الدين، كان الطعن فيه عظيمًا عند الله، فلا جرم قال: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢﴾

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: ﴿ٱلَّذِى﴾ بدل من (كل) أو نصب على ذم، وإنما وصفه الله تعالى بهذا الوصف لأنه يجري مجرى السبب والعلة في الهمز واللمز، وهو إعجابه بما جمع من المال، وظنه أن الفضل فيه لأجل ذلك فيستنقص غيره.

المسألة الثانية: قرأ حمزة والكسائي وابن عامر: (جَمَّع) بالتشديد والباقون بالتخفيف، والمعنى في جمع وجمع واحد متقارب، والفرق أن (جَمَّع) بالتشديد يفيد أنه جمعه من ههنا وههنا، وأنه لم يجمعه في يوم واحد ولا في يومين، ولا في شهر ولا في شهرين، يقال: فلان يجمع الأموال، أي يجمعها من ههنا وههنا، وأما (جَمَع) بالتخفيف، فلا يفيد ذلك، وأما قوله: ﴿مَالًا﴾ فالتنكير فيه يحتمل وجهين: **أحدهما**: أن يقال: المال اسم لكل ما في الدنيا، كما قال: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦] فمال الإنسان الواحد بالنسبة إلى مال كل الدنيا حقير، فكيف يليق به أن يفتخر بذلك القليل. **والثاني**: أن يكون المراد منه التعظيم، أي: مال بلغ في الخبث والفساد أقصى النهايات، فكيف يليق بالعاقل أن يفتخر به؟

أما قوله: ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ ففيه وجوه: أحدها: أنه مأخوذ من العدة وهي الذخيرة، يقال: أعددت الشيء لكذا وعددته، إذا أمسكته له وجعلته عدة وذخيرة لحوادث الدهر. وثانيها: عدده، أي أحصاه، وجاء التشديد لكثرة المعدود، كما يقال: فلان يعدد فضائل فلان، ولهذا قال السدي: وعدده، أي أحصاه، يقول: هذا لي. وهذا لي يلهيه ماله بالنهار، فإذا جاء الليل كان يخفيه. وثالثها: عدده، أي كثره، يقال: في بني فلان عدد، أي كثرة. وهذان القولان الأخيران راجعان إلى معنى العدد، والقول الثالث إلى معنى العدة، وقرأ بعضهم (وعَدَده) بالتخفيف وفيه وجهان: أحدهما: أن يكون المعنى جمع المال وضبط عدده وأحصاه. وثانيهما: جمع ماله وعدد قومه الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عَدد وعُدد، إذا كان له عدد وافر من الأنصار، والرجل متى كان كذلك كان أدخل في التفاخر.

قوله تعالى: ﴿يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤﴾

ثم وصفه تعالى بضرب خر من الجهل فقال: ﴿يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ﴾.

واعلم أن أخلده وخلده بمعنى واحد، ثم في التفسير وجوه: أحدها: يحتمل أن يكون المعنى طوَّل المال أمله حتى أصبح لفرط غفلته وطول أمله يحسب أن ماله تركه خالدًا في الدنيا لا يموت وإنما قال: ﴿أَخۡلَدَهُۥ﴾ ولم يقل: (يخلده) لأن المراد يحسب هذا الإنسان أن المال ضمن له الخلود وأعطاه الأمان من الموت، وكأنه حُكْم قد فُرغ منه، ولذلك ذكره على الماضي. قال الحسن: ما رأيت يقينًا لا شكَّ فيه أشبه بشك لا يقين فيه كالموت. وثانيها: يعمل الأعمال المحكمة كتشييد البنيان بالآجر والجص، عمل من يظن أنه يبقى حيًّا أو لأجل أن يُذكر بسببه بعد الموت. وثالثها: أحب المال حبًّا شديدًا حتى اعتقد أنه إن انتقص مالي أموت. فلذلك يحفظه من النقصان ليبقى حيًّا، وهذا غير بعيد من اعتقاد البخيل. ورابعها: أن هذا تعريض بالعمل الصالح وأنه هو الذي يخلد صاحبه في الدنيا بالذكر الجميل وفي الآخرة في النعيم المقيم.

أما قوله تعالى: ﴿كَلَّاۖ﴾ ففيه وجهان: أحدهما: أنه ردع له عن حسبانه، أي ليس الأمر كما يظن أن المال يخلده، بل العلم والصلاح، ومنه قول علي عليه السلام: مات خزان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر. والقول الثاني: معناه حقًّا ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ واللام في: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ جواب القسم المقدر، فدل ذلك على حصول معنى القسم في كلا.

أما قوله تعالى: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ﴾ فإنما ذكره بلفظ النبذ الدال على الإهانة؛ لأن الكافر كان يعتقد أنه من أهل الكرامة، وقرئ (لينبذان) أي هو وماله و(لينبذُن) بضم الذال، أي هو وأنصاره، وأما ﴿ٱلۡحُطَمَةِ﴾ فقال المبرد: إنها النار التي تحطم كل من وقع فيها، ورجل حُطَمة، أي شديد الأكل يأتي على زاد القوم، وأصل الحَطْم في اللغة الكسر، ويقال: شر الرعاء الحطمة، يقال: راع حُطَمة وحُطَم، بغير هاء، كأنه يحطم الماشية، أي يكسرها عند

سَوْقها لعنقه، قال المفسرون: الحطمة اسم من أسماء النار، وهي الدركة الثانية من دركات النار. وقال مقاتل: هي تحطم العظام وتأكل اللحوم حتى تهجم على القلوب. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الْمَلَكَ لَيَأْخُذُ الْكَافِرَ فَيَكْسِرُهُ عَلَى صُلْبِهِ، كَمَا تُوضَعُ الْخَشَبَةُ عَلَى الرُّكْبَةِ فَتُكْسَرُ ثُمَّ يُرْمَى به في النار».

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ۝٨﴾

واعلم أن الفائدة في ذكر جهنم بهذا الاسم ههنا وجوه: **أحدها**: الاتحاد في الصورة، كأنه تعالى يقول: إن كنت همزة لمزة فوراءك الحطمة. **والثاني**: أن الهامز بكسر عين ليضع قدره فيلقيه في الحضيض، فيقول تعالى: وراءك الحطمة، وفي الحطم كسر، فالحطمة تكسرك وتلقيك في حضيض جهنم، لكن الهمزة ليس إلا الكسر بالحاجب، أما الحطمة فإنها تكسر كسرًا لا تبقي ولا تذر. **الثالث**: أن الهماز اللماز يأكل لحم الناس، والحطمة أيضًا اسم للنار من حيث إنها تأكل الجلد واللحم، ويمكن أن يقال: ذكر وصفين الهمز واللمز، ثم قابلهما باسم واحد وقال: خذ واحدًا مني بالاثنين منك فإنه يفي ويكفي، فكأن السائل يقول: كيف يفي الواحد بالاثنين؟ فقال: إنما تقول هذا لأنك لا تعرف هذا الواحد فلذلك قال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ﴾ فالإضافة للتفخيم، أي هي نار لا كسائر النيران: ﴿ٱلۡمُوقَدَةُ﴾ التي لا تخمد أبدًا أوالموقدة بأمره أو بقدرته، ومنه قول علي عليه السلام: عجبًا ممن يعصي الله على وجه الأرض والنار تسعر من تحته. وفي الحديث: «أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ، ثُمَّ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ، ثُمَّ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ، فَهِيَ الْآنَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ»[(١)].

أما قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾ فاعلم أنه يقال: طلع الجبل واطلع عليه، إذا علاه، ثم في تفسير الآية وجهان: **الأول**: أن النار تدخل في أجوافهم حتى تصل إلى صدورهم وتطلع على أفئدتهم، ولا شيء في بدن الإنسان ألطف من الفؤاد، ولا أشد تألمًا منه بأدنى أذى يماسه، فكيف إذا اطلعت نار جهنم واستولت عليه؟! ثم إن الفؤاد مع استيلاء النار عليه لا يحترق إذ لو احترق لمات، وهذا هو المراد من قوله: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾ [الأعلى: ١٣] ومعنى الاطلاع هو

---

(١) إسناده ضعيف: أخرجه الترمذي في (سننه) (٤/ ٧١٠) حديث رقم (٢٥٩١) من طريق عباس الدوري البغدادي حدثنا يحيى بن أبي بكير، حدثنا شريك عن عاصم هو ابن بهدلة عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال... فذكره، ثم قال: حدثنا سويد أخبرنا عبد الله بن المبارك عن شريك عن عاصم عن أبي صالح أو رجل آخر عن أبي هريرة نحوه ولم يرفعه، قال أبو عيسى حديث أبي هريرة في هذا موقوف أصح، ولا أعلم أحدًا يحيى بن أبي بكير عن شريك وابن ماجه في (سننه) حديث رقم (٤٣٢٠) من طريق شريك عن عاصم بن بهدلة عن أبي صالح عن أبي هريرة... به وابن رجب في (التخويف من النار) (١/ ٦٦) من طريق عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة... به، وأورده الألباني في (السلسلة الضعيفة) (٣/ ٤٧٠) حديث رقم (١٣٠٥).

أن النار تنزل من اللحم إلى الفؤاد . **والثاني:** أن سبب تخصيص الأفئدة بذلك هو أنها مواطن الكفر والعقائد الخبيثة والنيات الفاسدة ، واعلم أنه روي عن النبي ﷺ أن النار تأكل أهلها حتى إذا اطلعت على أفئدتهم انتهت . ثم إن الله تعالى يعيد لحمهم وعظمهم مرة أخرى .

أم قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ فقال الحسن : مؤصدة ، أي مطبقة ، من أصدت الباب وأوصدته ، لغتان ، ولم يقل : مطبقة لأن المؤصدة هي الأبواب المغلقة ، والإطباق لا يفيد معنى الباب .

واعلم أن الآية تفيد المبالغة في العذاب من وجوه : **أحدها:** أن قوله : ﴿لَيُنْبَذَنَّ﴾[الهمزة: ٤] يقتضي أنه موضع له قعر عميق جدًّا كالبئر . **وثانيها:** أنه لو شاء يجعل ذلك الموضع بحيث لا يكون له باب لكنه بالباب يُذكرهم الخروج ، فيزيد في حسرتهم . **وثالثها:** أنه قال : ﴿عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ ولم يقل : مؤصدة عليهم لأن قوله : ﴿عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ يفيد أن المقصود أولاً كونهم بهذه الحالة ، وقوله مؤصدة عليهم لا يفيد هذا المعنى بالقصد الأول .

قوله تعالى: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾

ففيه مسائل:

المسألة الأولى : قرئ (في عُمُد) بضمتين و(عُمْد) بسكون الميم و(عَمَد) بفتحتين ، قال الفراء : عُمُد وعمْد وعَمَد مثل الأديم والأدْم والأَدَم والإهاب والأهْب والأَهَب ، والعقيم والعقْم والعَقَم وقال المبرد وأبو علي : العمد جمع عمود على غير واحد ؛ أما الجمع على واحد فهو العُمُد مثل زبور وزبر ورسول ورسل .

المسألة الثانية : العمود كل مستطيل من خشب أو حديد ، وهو أصل للبناء ، يقال : عمود البيت ، للذي يقوم به البيت .

المسألة الثالثة : في تفسير الآية وجهان : **الأول:** أنها عمد أغلقت بها تلك الأبواب ، كنحو ما تُغلق به الدروب ، وفي بمعنى الباء ، أي أنها عليهم مؤصدة بعمد مُدت عليها ، ولم يقل : بعمد لأنها لكثرتها صارت كأن الباب فيها . **والقول الثاني:** أن يكون المعنى : إنها عليهم مؤصدة حال كونهم موثقين فى عمد ممدة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص ، اللهم أجرنا منها يا أكرم الأكرمين .

تفسير سورة «الهمزة»

مكيةٌ بإجماعٍ، وهي تسعُ آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ۝١﴾

قد تقدَّم القولُ في الويل في غير موضع، ومعناه: الخِزيُ والعذابُ والهَلَكة. وقيل: وادٍ في جهنم.

﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ قال ابن عباس: هم المشَّاؤون بالنميمة، المفرِّقون(٤) بين الأحبَّة، الباغون للبُرَآء العيبَ(٥)، فعَلَى هذا هما بمعنى. وقال النبيُّ ﷺ: «شِرارُ عبادِ

---

(٤) في (د) و(م): المفسدون.

(٥) أخرجه وكيع في الزهد (٤٤٧)، وهناد في الزهد (١٢١٤)، والطبري ٢٤/٢١٧ . ووقع عند وكيع وهناد: العنت، بدل العيب.

اللهِ تعالى المَشَّاؤون بالنميمة، المُفْسِدون بين الأحبَّةِ، الباغون للبُرآء العيبَ»[١].

وعن ابن عباس أنَّ الهُمَزَة: القَتَّات، واللُّمزة: العيَّاب[٢].

وقال أبو العالية والحسنُ ومجاهدٌ وعطاء بن أبي رَباح: الهمزةُ: الذي يغتابُ ويَطْعنُ في وجه الرجل، واللمزة: الذي يغتابُه مِن خَلْفِه إذا غاب[٣]، ومنه قولُ حسان:

هَمَزْتُكَ فاخْتَضَعْتَ بذُلِّ نفسٍ   بقافيةٍ تَأَجَّحُ كالشُّوَاظِ[٤]

واختار هذا القولَ النحَّاس[٥]؛ قال: ومنه قولُه تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى الصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٥٨].

وقال مُقاتل ضدَّ هذا الكلام: أنَّ الهُمَزَةَ: الذي يَغتابُ بالغَيْبة[٦]، واللُّمَزة: الذي يغتاب في الوجه[٧].

وقال قتادة ومجاهد: الهُمزَة: الطَّعَّان في الناس، واللُّمَزة: الطَّعَّان في أنسابهم[٨].

وقال ابن زيد: الهامِزُ: الذي يهمز الناسَ بيده ويضربُهم، واللُّمَزَة: الذي يَلْمِزهم

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧٥٩٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٢٣) من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها. وفيهما: العنت، بدل: العيب.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٣٣٥، وزاد المسير ٩/ ٢٢٧، وفيهما: المغتاب، بدل: القتات. والقتات: النمام. القاموس (قتت).

(٣) ينظر قولهم في تفسير الطبري ٢٤/ ٦١٧ - ٦١٨، والنكت والعيون ٦/ ٣٣٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٢١، وزاد المسير ٩/ ٢٢٧.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٣٥٧، والنكت والعيون ٦/ ٣٣٦. قوله: بقافية، القافية: وراء العنق. القاموس (قفا).

(٥) ينظر إعراب القرآن له ٥/ ٢٨٧.

(٦) في (ظ): في الغيبة.

(٧) بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٥٢١، وتفسير البغوي ٤/ ٥٢٣، وزاد المسير ٩/ ٢٢٨.

(٨) زاد المسير ٩/ ٢٢٨ عن مجاهد.

بلسانه ويَعيبُهم[١].

وقال سفيان الثوريُّ: يَهْمزُ بلسانه، ويَلمِزُ بعينيه[٢].

وقال ابن كيسان: الهُمَزَةُ: الذي يؤذي جُلَساءَه بسوءِ اللَّفظِ، واللُّمَزةُ: الذي يكسرُ عينَه على جليسه، ويُشير بعينِه ورأسِه وبحاجبيه[٣]. وقال مرةً: هما سواء، وهو القَتَّات الطَّعَّان للمرء إذا غاب. وقال زياد الأعجم:

تُدْلي بِوُدِّي إذا لاقيتَني كَذِبًا ... وإنْ أُغَيَّبْ فأنتَ الهامزُ اللُّمَزَهْ[٤]

وقال آخر:

إذا لَقِيتُكَ عن شَحْطٍ تُكاشِرُني ... وإن تَغَيَّبتُ كنتَ الهامِزَ اللُّمَزَهْ[٥]

الشَّحْطُ: البعد. والهُمَزَةُ: اسمٌ وضع للمبالغة في هذا المعنى؛ كما يقال: سُخَرَةٌ وضُحَكَة: للذي يَسخَر ويَضْحك بالناس.

وقرأ أبو جعفر محمد بن عليّ والأعرجُ: «هُمْزةٍ لُمْزةٍ» بسكون الميم فيهما[٦]، فإنْ صح ذلك عنهما، فهي في معنى المفعول، وهو الذي يتعرَّضُ للناس حتى يَهْمزوه ويضحكوا منه، ويَحمِلُهم على الاغتياب.

وقرأ عبد الله بن مسعودٍ وأبو وائلٍ والنَّخَعيُّ والأعمش: «ويْلٌ لِلْهُمَزَةِ اللُّمَزَةِ»[٧].

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٨٧، وتفسير البغوي ٤/ ٥٢٣، وأخرجه الطبري ٢٤/ ٦١٩.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٥٢٣، وزاد المسير ٩/ ٢٢٨.

(٣) ذكره بنحوه البغوي ٤/ ٥٢٣، وقال الرازي ٣٢/ ٩٢: اعلم أن جميع هذه الوجوه متقاربة راجعة إلى أصل واحد، وهو الطعن وإظهار العيب.

(٤) مجاز القرآن ٢/ ٣١١، وتفسير الطبري ٢٤/ ٦١٦، والنكت والعيون ٦/ ٣٣٥.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٦١، وجمهرة اللغة ٣/ ١٨، وأساس البلاغة (لمز)، واللسان (همز)، وعزاه ابن دريد لزياد الأعجم أيضاً. ووقع في معاني القرآن: كره، بدل: شحط. قوله: تكاشرني، كاشره: إذا ضحك في وجهه وباسطه. اللسان (كشر).

(٦) ذكرها الزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٨٣، والرازي ٣٢/ ٩١ دون نسبة.

(٧) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٩، والقراءات الشاذة ص ١٧٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٢١. ووقع في القراءات الشاذة: ويل للهمزة واللمزة. وفي المحرر: ويل الهمزة اللمزة.

وأصلُ الهمزِ: الكَسْرُ، والعَضُّ على الشيء بعنفٍ، ومنه هَمْزُ الحرف. ويقال: هَمَزْتُ رأسَه. وهمزتُ الجوزَ بكفِّي: كَسرته. وقيل لأعرابيٍّ: أتهمِزون الفأرةَ؟ فقال: إنَّما تَهمِزُها الهِرَّة. الذي في «الصحاح»: وقيل لأعرابي: أتهمِزُ الفأرة؟ فقال: السِّنَّوْرُ يهمزُها[١]. والأوّلُ قاله الثعلبيُّ. وهو يدلُّ على أنَّ الهِرَّ يسمَّى الهُمَزة. قال العجَّاج:

ومَــنْ هَــمَــزْنَــا رأسَــهُ تَــهَــشَّــمَــا[٢]

وقيل: أصلُ الهَمْزِ واللَّمْزِ: الدفعُ والضربُ؛ لَمَزَهُ يَلْمِزه[٣] لَمْزًا: إذا ضَرَبه ودَفَعه. وكذلك هَمَزَهُ، أي: دَفَعه وضَرَبَه، قال الراجز:

ومَــن هَــمَــزْنَــا عِــزَّهُ تَــبَــرْكَــعَــا ... عــلــى اسْــتِــهِ زَوْبَــعَــةً أو زَوْبَــعَــا[٤]

البركعة: القيامُ على أربع. وبَرْكَعهُ فتبركع، أي: صَرَعَه فوقع على اسْتِه؛ قاله في «الصحاح»[٥].

والآيةُ نزلت في الأخنس بنِ شريق، فيما رَوَى الضحاك عن ابن عباس[٦]. وكان يَلْمِزُ الناسَ ويَعيبهم مُقْبِلين ومُدْبِرين.

---

(١) الصحاح (همز).

(٢) نسب للعجاج في العين ١/ ٨٩ ، وفيه: تلعلعا، بدل: تهشما، والتلعلع: التكسر. وتهذيب اللغة ١/ ١٦٢ ، وفيه: تخرَّعا، ومعناها: زال عن موضعه. وهو برواية المصنف في الصحاح (همز)، وتهذيب اللغة ٦/ ١٦٥ دون نسبة، وذُكر بهذه الرواية في ملحقات ديوان رؤبة ص١٨٤ .

(٣) وبابه: ضرب ونصر، مختار الصحاح (لمز)، والكلام من الصحاح (لمز).

(٤) الصحاح (همز)، والكلام منه، والرجز لرؤبة، وهو في ديوانه ص ٦٣ ، ومجالس ثعلب ص٦٤ ، وأمالي القالي ١/ ١٠٥ ، والاشتقاق لابن دريد ص ٣١٢ واللسان (بركع)، ووقع في بعض المصادر: روبعة أو روبعا، وهو الصواب فيما نقل صاحب اللسان (بركع) عن ابن بري، قال: وكذلك هو في شعر رؤبة، وفسِّر بأنه القصير الحقير، وقيل: الضعيف، وقيل: القصير العرقوب، وقيل: الناقص الخَلْق. اهـ. ورواية الديوان:

ومــن هــمــزنــا رأســه تــلــعــلــعــا ... ومــن أبــحــنــا عــزَّه تــبــركــعــا
عــلــى اســتــه روبــعــة أو روبــعــا

(٥) مادة (بركع).

(٦) ذكره ابن الجوزي ٩/ ٢٢٦ من طريق أبي صالح عن ابن عباس. وذكره البغوي ٤/ ٥٢٣ عن الكلبي.

وقال ابن جُرَيج: في الوليد بن المغيرة، وكان يغتابُ النبيَّ ﷺ من ورائه، ويَقْدحُ فيه في وجهه[١].

وقيل: نزلت في أُبَيّ بنِ خَلَف[٢]. وقيل: في جميل بن عامر الثقفيّ[٣].

وقيل: إنَّها مُرْسَلةٌ على العموم من غيرِ تخصيص؛ وهو قولُ الأكثرين؛ قال مجاهد: ليست بخاصَّةٍ لأحد، بل لكلِّ مَن كانت هذه صفتُه[٤]. وقال الفرَّاء[٥]: يجوزُ أن يُذْكَر الشيءُ العامُّ ويقصَد به الخاصُّ قَصْدَ الواحدِ، إذا قال: لا أزورُك أبداً، فتقول: مَن لم يَزُرْني فلستُ بزائرِه، يعني ذلك القائل.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢﴾

أي: أعَدَّه ـ زَعَم ـ لنوائب الدهر؛ مثل كَرَّم وأكْرَم. وقيل: أحصى عدَدَه؛ قاله السُّديّ. وقال الضحاك: أي: أعدَّ ماله لمن يرثُه من أولاده. وقيل: أي: فاخَر بعددِه وكَثْرتِه[٦]. والمقصودُ الذمُّ على إمساك المالِ عن سبيل الطاعة، كما قال: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ [ن:١٢]، وقال: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ [المعارج:١٨].

وقراءةُ الجماعة: «جَمَع» مخفَّف الميم. وشدَّدها ابنُ عامر وحمزةُ والكسائيُّ على التكثير[٧]. واختاره أبو عُبيد؛ لقوله: «وعَدَّده».

وقرأ الحسن ونصر بن عاصم وأبو العالية: «جَمَع» مخفَّفًا، «وعَدَدَه» مخفَّفًا

(١) الوسيط ٤/٥٥٢، وتفسير البغوي ٤/٥٢٤ عن مقاتل، وذكره عن ابن جريج الماوردي ٦/٣٣٦ دون قوله: وكان يغتاب النبي...

(٢) النكت والعيون ٦/٣٣٦.

(٣) تفسير الطبري ٢٤/٦١٩، والنكت والعيون ٦/٣٣٦، وفيهما: الجمحي، بدل: الثقفي.

(٤) تفسير الطبري ٢٤/٦٢٠.

(٥) في معاني القرآن ٣/٢٨٩.

(٦) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ٦/٣٣٦.

(٧) السبعة ص٦٩٧، والتيسير ص٢٢٥.

أيضًا[(١)]، فأَظْهَروا التضعيفَ؛ لأنَّ أصله: عَدَّه، وهو بعيد؛ لأنَّه وقع في المصحف بدالين. وقد جاء مثلُه في الشعر؛ لمَّا أَبْرَزوا التضعيفَ خفَّفوه، قال:

مَهْلاً أُمامةُ قد جَرَّبْتِ من خُلُقي ... أنِّي أَجُودُ لِأقْوامٍ وإنْ ضَنِنُوا[(٢)]

أراد: ضَنُّوا وبَخِلوا، فأَظْهَر التضعيف؛ لكنَّ الشعرَ موضعُ ضرورةٍ. قال المَهْدِويُّ: مَن خفَّف «وعدَّده» فهو معطوفٌ على المال، أي: وجَمَع عَدَدَه، فلا يكونُ فعلاً على إظهار التضعيف؛ لأنَّ ذلك لا يُستعمل إلَّا في الشعر.

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ﴾ أي: يظنُّ ﴿أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ أي: يبقيه حيًّا لا يموت؛ قاله السُّدِّيُّ. وقال عكرمة: أي: يزيدُ في عمره[(٣)]. وقيل: أحياه فيما مضى. وهو ماضٍ بمعنى المستقبل؛ يقال: هَلَكَ واللهِ فلانٌ ودَخَل النار، أي: يدخل.

﴿كَلَّا﴾ ردٌّ لِمَا تَوهَّمه الكافر، أي: لا يَخْلُد ولا يَبقَى له مال. وقد مضى القولُ في «كَلَّا» مستوفى[(٤)]. وقال عمر بن عبد الله مولى غُفْرة: إذا سمعتَ الله عزَّ وجلَّ يقول: «كَلَّا» فإنَّه يقولُ: كذبت[(٥)].

﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ أي: ليُطْرَحَنَّ ولَيُلْقَينَّ. وقرأ الحسن ومحمد بن كعب ونصر بن عاصم

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٧٩ عن الحسن. قال الطبري ٢٤/ ٦٢١ : المعنى: جمع مالاً، وجمع عشيرته وعَدَدَه، وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها.

(٢) البيت لقعنب بن أم صاحب، كما في الكتاب ٣/ ٥٣٥ ، والخصائص ١/ ١٦٠ ، والحماسة البصرية ٢/ ٧٦ ، ومختارات ابن الشجري ١/ ٧ ، وبلا نسبة في المقتضب ١/ ٢٥٣ . ونسبه ثعلب إلى طيسلة الفزاري كما ذكر البصري. وروايته في هذه المصادر: مهلاً أعاذل قد جربت...

(٣) القولين في النكت والعيون ٦/ ٣٣٦ .

(٤) ١٣/ ٥١٠ .

(٥) ذكره السمعاني في التفسير ٦/ ٤٧ . وعمر بن عبد الله هو أبو حفص المدنيُّ، توفي سنة (١٤٥هـ). التهذيب ٣/ ٢٣٨ .

ومجاهد وحُميد وابن محيصن: «لَيُنْبَذانِّ» بالتثنية، أي: هو وماله[١].

وعن الحسن أيضًا: «لَيُنْبَذَنَّهُ»[٢] على معنى: لَيُنْبَذَنَّ ماله. وعنه أيضاً بالنون: «لَنَنْبِذَنَّه»[٣] على إخبارِ اللهِ تعالى عن نفسه، أنه[٤] يَنْبِذُ صاحبَ المال. وعنه أيضاً: «لَيُنْبَذُنَّ» بضمِّ الذَّال[٥]، على أنَّ المراد الهُمَزةُ واللُّمزةُ والمالُ وجامِعُه.

﴿فِي ٱلْحُطَمَةِ﴾ وهي نارُ الله؛ سُمِّيت بذلك لأنَّها تَكْسِرُ كلَّ ما يُلْقى فيها وتَحْطِمُه وتَهْشِمُه؛ قال الراجز:

إنَّا حَطَمْنا بالقَضيبِ مُصْعَبا يَومَ كَسَرْنا أَنْفَه لِيغْضَبا[٦]

وهي الطَّبقةُ السادسةُ من طبقات جهنم. حكاه الماوَرْديُّ عن الكلبيِّ[٧]. وحَكى القشيريُّ عنه: «الحُطَمة»: الدَّرَكةُ الثانيةُ من دَرَكِ النار.

وقال الضحاك: هي الدركُ الرابع. ابن زيد: اسمٌ من أسماء جهنم[٨].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ على التعظيم لشأنها، والتفخيمِ لأَمْرِها. ثم فسَّرها ما هي، فقال: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ أي: التي أوقد عليها ألف عامٍ، وألف عامٍ، وألف عامٍ، فهي غيرُ خامدةٍ، أعدَّها الله للعصاة.

﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ قال محمد بن كعب: تأكلُ النارُ جميعَ ما في أجسادهم،

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٩٠، وتفسير الطبري ٢٤/ ٦٢٤ عن الحسن.

(٢) القراءات الشاذة ص ١٧٩، والكشاف ٤/ ٢٨٤.

(٣) ذكرها الألوسي في روح المعاني ٣٠/ ٢٣١ عن أبي عمرو.

(٤) في (د) و(م): وأنه.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٥٢٢، والكشاف ٤/ ٢٨٤.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٣٣٧، والبيت لصخير بن أبي الجهم، كما في المنمق لابن حبيب ص ٣٦٦، وتاريخ ابن عساكر ٢٤/ ٥، وفيهما: نحن خطمنا...، ومصعب هو ابن عبد الرحمن بن عوف، كما ذكر ابن حبيب. ومعنى خطمه: ضرب أنفه. القاموس (خطم).

(٧) النكت والعيون ٦/ ٣٣٧.

(٨) المصدر السابق.

حتى إذا بلغت إلى الفؤاد خُلِقوا خَلْقاً جديدًا، فرجعت تأكُلهم[١]. وكذا رَوى خالد بنُ أبي عمران عن النبيِّ ﷺ: «أنَّ النارَ تأكلُ أهلَها، حتى إذا اطَّلعتْ على أفئدتهم انتهتْ، ثم إذا صَدَروا تعود، فذلك قولُه تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾»[٢].

وخصَّ الأفئدةَ لأنَّ الألم إذا صار إلى الفؤاد مات صاحبُه. أي: إنَّه في حالِ مَن يموتُ وهم لا يموتون، كما قال الله تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤] فهم إذًا أحياءٌ في معنى الأموات.

وقيل: معنى «تَطَّلِعُ على الأفئِدةِ»، أي: تعلمُ مقدارَ ما يَسْتَحِقُّه كلُّ واحدٍ منهم من العذاب، وذلك بما استَبْقاه الله تعالى من الأمارة الدالَّةِ عليه؛ يقال: اطَّلعَ فلان على كذا: أي: عَلِمَه، وقد قال الله تعالى: ﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [المعارج: ١٧]، وقال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢]، فوَصَفَها بهذا، فلا يَبْعُد أن تُوصَفَ بالعلم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾

أي: مُطْبَقة؛ قاله الحسن والضحَّاك[٣]. وقد تقدَّم في سورة البَلَد القولُ فيه[٤].

وقيل: مُغْلَقة؛ بلُغةِ قريش، يقولون: آصَدْتُ الباب: إذا أغلقته؛ قاله مجاهد. ومنه قولُ عُبيد الله بنِ قيس الرقيَّات:

إنَّ في القصرِ لو دخلنا غزالاً ... مُصْفَقًا مُوصَدًا عليهِ الحِجابُ[٥]

﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ الفاءُ بمعنى الباء، أي: موصدة بعمدٍ ممدَّدة؛ قاله ابن مسعود؛ وهي في قراءته: «بِعَمَدٍ مُمَدَّدةٍ»[٦].

(١) أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٩٣.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٣٣٧، وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٣٠٦ ـ زوائد نعيم).

(٣) النكت والعيون ٦/ ٣٣٧، وأخرج قولهما الطبري ٢٤/ ٦٢٣، وأخرجه عن ابن عباس أيضاً.

(٤) ص٣٠٧ من هذا الجزء.

(٥) ديوان عبيد الله بن قيس ص ٨٤، والنكت والعيون ٦/ ٣٣٧، والكلام منه.

(٦) تفسير الطبري ٢٤/ ٦٢٤، وهي في القراءات الشاذة ص ١٧٩ عن الأعمش.

وفي حديث أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ: «ثم إنَّ الله يَبْعَثُ إليهم ملائكةً بأطباقٍ من نار، ومساميرَ من نارٍ، وعَمَدٍ من نار، فتُطْبِقُ عليهم بتلك الأطباق، وتَشُدُّ عليهم بتلك المسامير، وتمدُّ بتلك العَمَد، فلا يَبْقَى فيها خَلَلٌ يدخل فيه رَوْحٌ، ولا يخرج منه غمٌّ، وينساهم الرحمن على عرشه، ويتشاغلُ أهلُ الجنةِ بنعيمهم، ولا يستغيثون بعدها أبداً، وينقطعُ الكلام، فيكونُ كلامُهم زَفِيرًا وشهيقًا، فذلك قولُه تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾»[١].

وقال قتادةُ: عَمَد يعذَّبون بها. واختاره الطبريُّ[٢].

وقال ابن عباس: إنَّ العَمَد الممدَّدة أغلالٌ في أعناقهم. وقيل: قيودٌ في أرْجُلِهم؛ قاله أبو صالح[٣].

وقال القشيريُّ: والمُعْظَمُ على أنَّ العَمَد أوتادُ الأطباقِ التي تُطْبقُ على أهل النار، وتُشَدُّ تلك الأطباقُ بالأوتاد حتى يرجع عليهم غمُّها وحرُّها، فلا يدخلُ عليهم رَوْحٌ.

وقيل: أبوابُ النارِ مُطْبقةٌ عليهم وهم في عَمَد، أي: في سلاسلَ وأغلالٍ مُطَوَّلةٍ، وهي أَحْكَمُ وأَرْسخُ من القصيرة.

وقيل: هم في عمدٍ ممدَّدة، أي: في عذابها وآلامها يُضْربون بها.

وقيل: المعنى: في دهرٍ ممدود، أي: لا انقطاعَ له.

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ وأبو بكر عن عاصم: «في عُمُدٍ» بضم العين والميم[٤]، جمع عمود. وكذلك «عَمَد» أيضاً. قال الفرَّاء[٥]: والعَمَد والعُمُد: جمعان صحيحان

---

(١) قطعة من خبر طويل ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ١٣٩ .

(٢) في تفسيره ٢٤/ ٦٢٦ ، وأخرجه عن قتادة عبد الرزاق ٢/ ٣٩٥ ، والطبري ٢٤/ ٦٢٥ - ٦٢٦ .

(٣) القولين في النكت والعيون ٦/ ٣٣٧ .

(٤) السبعة ص٦٩٧ ، والتيسير ص ٢٢٥ .

(٥) في معاني القرآن ٣/ ٢٩١ .

لعمود، مثل: أدِيم وأَدَم وأُدُم، وأَفِيق وأَفَق وأُفُق.

أبو عُبيدة: «عمد» جمعُ عِماد، مثل إهاب[١]. واختار أبو عُبيد «عَمَد» بفتحتين. وكذلك أبو حاتم؛ اعتباراً بقوله تعالى: ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ [الرعد: ٢] وأجمعوا على فَتْحِها.

قال الجوهريُّ[٢]: العمود: عمودُ البيت، وجمع القلة: أَعْمِدة، وجمع الكثرة عُمُد، وعَمَد، وقرئ بهما قولُه تعالى: «في عَمَدٍ مُمَدَّدةٍ».

وقال أبو عبيدةَ: العمودُ كلُّ مستطيلٍ من خشبٍ أو حديد، وهو أصلٌ للبناء مثل العِماد[٣]. عَمَدْتُ الشيءَ فانْعَمَد، أي: أَقَمْتَه بِعِمادٍ يعتمِدُ عليه. وأَعْمَدْتُه: جعلت تحته عَمَدًا[٤]. والله أعلم.

---

(١) يعني أن «عَمَد» و«عُمُد» كلاهما جمع عماد. مجاز القرآن ٢/ ٣١١ ، والوسيط ٤/ ٥٥٣ ، وتفسير البغوي ٤/ ٥٢٤ .

(٢) في الصحاح (عمد).

(٣) ذكره الرازي ٣٢/ ٩٥ دون نسبة.

(٤) الصحاح (عمد).

تفسير سورة ويل لكل همزة لمزة

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) الَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِى الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ (٨) فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩) ﴾ .

الهماز : بالقول ، واللماز : بالفعل . يعنى : يزدرى بالناس [١] وينتقص بهم . وقد تقدم بيان ذلك فى قوله : ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ [القلم:١١] .

قال ابن عباس : ﴿ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ : طعان معياب . وقال الربيع بن أنس : الهُمَزَة ، يهمزه فى وجه ، واللمزة [٢] من خلفه . وقال قتادة : يهمزه ويلمزه بلسانه وعينه ،ويأكل لحوم الناس،ويطعنُ عليهم.

وقال مجاهد : الهمزة : باليد والعين ، واللمزةُ : باللسان . وهكذا قال ابن زيد . وقال مالك، عن زيد بن أسلم : هُمَزَة لحوم الناس .

ثم قال بعضهم : المراد بذلك الأخنس بن شَرِيق . وقيل غيره . وقال مجاهد : هى عامة .

وقوله : ﴿ الَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ﴾ أى : جمعه [٣] بعضه على بعض ،وأحصى عدده كقوله : ﴿ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴾ [المعارج:١٨] . قاله السدى ، وابن جرير .

وقال محمد بن كعب فى قوله : ﴿ جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ﴾ : ألهاه ماله بالنهار ، هذا إلى[٤] هذا ، فإذا كان الليل ، نام كأنه جيفة .

وقوله : ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾ أى : يظن أن جمعه المال يخلده فى هذه الدار ؟ ﴿ كَلاَّ ﴾ أى : ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب . ثم قال تعالى: ﴿ لَيُنبَذَنَّ فِى الْحُطَمَةِ ﴾ أى : ليلقين هذا الذى جمع مالاً فعدده [٥] فى الحطمة وهى اسم من أسماء النار صفة ؛ لأنها تحطم من فيها . ولهذا قال : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ . نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ . الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ﴾ قال ثابت البنانى : تحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء ، ثم يقول : لقد بلغ منهم العذاب ، ثم يبكى .

---

(١) فى م : « على الناس » .
(٢) فى م : « ولمزه » .
(٣) فى م : « أى جمع » .
(٤) فى م : « فى » .
(٥) فى م : « فعده » .

وقال محمد بن كعب : تأكل كل شيء من جسده ، حتى إذا بلغت فؤاده حَذْوَ حلقه ترجع على جسده .

وقوله : ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾ أي : مطبقة كما تقدم تفسيره في سورة البلد .

وقال ابن مَرْدُويه : حدثنا عبد الله بن محمد ،حدثنا علي بن سراج ، حدثنا عثمان بن خَرَّزَاذ ، حدثنا شجاع بن أشرس ، حدثنا شريك ، عن عاصم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ : ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾ قال : « مطبقة » .

وقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة ، عن عبد الله بن أسيد ، عن إسماعيل بن خالد [1] ، عن أبي صالح ، قوله ، ولم يرفعه .

﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ : قال عطية العوفي : عمد من حديد . وقال السُّدِّي : من نار . وقال شبيب بن بشر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس: ﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ يعني : الأبواب هي الممدوة [2] .

وقال قتادة في قراءة عبد الله بن مسعود : إنها عليهم مؤصدة بعمد ممدة .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : أدخلهم في عَمَد فمدت عليهم بعماد ، وفي أعناقهم السلاسل فسدت بها الأبواب .

وقال قتادة : كنا نحدث أنهم يعذبون بعمد في النار . واختاره ابن جرير .

وقال أبو صالح : ﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ ، يعني القيود الطوال .

آخر تفسير سورة « ويل لكل همزة لمزة »

(١) في أ : « إسماعيل بن أبي خالد » .

(٢) في أ : « هي الممددة » .

سورة الهُمَزة

مكّيّة، وهي تسع آياتٍ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ٩﴾

﴿وَيۡلٞ﴾ مبتدأ، خبره[١] ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾، وساغ الابتداء به مع كونه نكرة؛ لأنّه دعاء عليهم بالهَلَكة، / أو بشدّة الشرّ، والهَمْز: الكسر كـ"الهَزْم"، واللَّمْز: [٣١٩و] الطعن كـ"اللهز"، شاعا في الكسر مِن أعراض الناس والطعن فيهم. وبناء "فُعَلَة" للدلالة على أنّ ذلك منه عادة مستمرّة قد ضَري بها، وكذلك اللُّعنة والضُّحكة. وقُرئ: "لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُمْزَةٌ"[٢] بسكون الميم، وهو المسخَرة الذي يأتي بالأضاحيك فيُضحك منه ويُستهزأ به.

وقيل: نزلت في الأخنس بن شَريق، فإنّه كان ضاريًا بالغِيبة والوقيعة.[٣] وقيل: في أميّةَ بن خَلَف. وقيل: في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وغضِّه مِن جنابه الرفيع.[٤] واختصاصُ السبب لا يستدعي خصوصَ الوعيد بهم؛ بل كلّ مَن اتّصف بوصفهم القبيح فله ذنوب منه مثلَ ذنوبهم.

﴿ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا﴾ بدل مِن ﴿كُلِّ﴾، أو منصوب، أو مرفوع على الذمّ. وقُرئ: "جَمَّعَ"[٥] بالتشديد للتكثير، وتنكير ﴿مَالٗا﴾ للتفخيم والتكثير الموافق لقوله تعالى:

---

١ س: وخبر.

٢ قراءة شاذّة، غير منسوبة. الكشّاف للزمخشري، ٦٠٢/٤.

٣ القول في جامع البيان للطبري، ٦١٩/٢٤؛ والكشّاف للزمخشري، ٦٠٢/٤.

٤ القولان في معالم التنزيل للبغوي، ٥٣٠/٨؛ والكشّاف للزمخشري، ٦٠٢/٤.

٥ قرأ بها ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف وروح. النشر لابن الجزري، ٤٠٣/٢.

﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾. وقيل: معنى ﴿عَدَّدَهُۥ﴾ جعَله عدّةً لنوائب الدهر.[١] وقُرئ: "وَعَدَدَهُ"،[٢] أي: جَمَع المال وضبط عَدَدَه، أو جمع ماله وعدَدَه الذين ينصرونه، مِن قولك: "فلان ذو عَدَدٍ وعُدَدٍ" إذا كان له عَدَدٌ وافر مِن الأنصار والأعوان. وقيل: هو فعل ماضٍ بفكّ الإدغام.[٣]

﴿يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ﴾ أي: يعمل عملَ مَن يظنّ أنّ ماله يبقيه حيًّا، والإظهارُ في موقع الإضمار لزيادة التقرير. وقيل: طوّل المالُ أمله ومنّاه الأمانيّ البعيدة حتّى أصبح لفرط غفلته وطولِ أمله يحسب أنّ المال تَرَكه خالدًا في الدنيا لا يموت. وقيل: هو تعريض بالعمل الصالح والزهد في الدنيا، وأنّه هو الذي أخلد صاحبه في الحياة الأبديّة والنعيم المقيم، فأمّا المال فليس بخالد ولا بمخلِّد. ورُوي أنّ الأخنس كان له أربعة آلاف دينار، وقيل: عشرة آلاف.[٤] والجملة مستأنَفة أو حال مِن فاعل ﴿جَمَعَ﴾.

﴿كَلَّاۖ﴾ ردع له عن ذلك الحسبان الباطل، وقوله تعالى: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ جواب قسم مقدَّر، والجملة استئناف مبيِّن لعِلّة الردع، أي: والله ليُطرحَنّ بسبب تعاطيه للأفعال / المذكورة. ﴿فِي ٱلۡحُطَمَةِ﴾ أي: في النار التي شأنها أن تحطِم وتكسِر كلَّ ما يلقى فيها، كما أنّ شأنه كسرُ أعراض الناس وجمعُ المال. [٣١٩ظ]

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ﴾ لتهويل أمرها ببيان أنّها ليست مِن الأمور التي تنالها عقول الخلق.

وقوله تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ﴾ خبر مبتدأ محذوف، والجملةُ بيان لشأن المسئول عنها، أي: هي نار الله ﴿ٱلۡمُوقَدَةُ﴾ بأمر الله عزّ سلطانه، وفي إضافتها إليه سبحانه ووصفها بالإيقاد مِن تهويل أمرها ما لا مزيدَ عليه. ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾ أي: تعلو أوساط القلوب وتغشاها. وتخصيصُها بالذِّكر لِما أنّ الفؤاد ألطفُ ما في الجسد وأشدّه تألُّمًا بأدنى أذى يمسّه، أو لأنّه محلّ العقائد الزائغة والنيّات الخبيثة، ومنشأ الأعمال السيّئة.

---

١ القول في الكشّاف للزمخشري، ٦٠٢/٤.
٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٨٠.
٣ القول في الكشّاف للزمخشري، ٦٠٢/٤.
٤ هذه الأقوال كلّها في الكشّاف للزمخشري، ٦٠٢/٤.

﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ﴾ أي: مطبَقة، مِن "أوصدتُ البابَ وآصدتُه"، أي: أطبقته. ﴿فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ﴾ إمّا حال مِن الضمير المجرور في ﴿عَلَيۡهِم﴾، أي: كائنين ﴿فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ﴾، أي: موثَقين فيها مثل المقاطر التي يقطَّر فيها اللصوص، أو خبرُ مبتدأ مضمر، أي: هم في عَمَد، أو صفةٌ لـ﴿مُّؤۡصَدَةٞ﴾، قاله أبو البقاء.[1] أي: كائنةٌ في عَمَد ممدَّة، بأن تُوصَد عليهم الأبواب، وتمدَّد على الأبواب العَمَد استيثاقًا في استيثاقٍ. اللّٰهمّ أجرنا منها يا خيرَ مستجار. وقُرئ: "عُمُدٍ"[2] بضمّتين.

عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ سورة الهُمَزة أعطاه الله[3] عشرَ حسنات بعَدَد مَن استهزأ بمحمّد عليه السلام وأصحابه».[4]

---

١ انظر: التبيان للعكبري، ١٣٠٤/٢.

٢ قرأ بها حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر. النشر لابن الجزري، ٤٠٣/٢.

٣ س + تعالى.

٤ الكشف والبيان للثعلبي، ٢٥٠/٣٠ (الهمزة، ١/١٠٤)؛ التفسير الوسيط للواحدي، ٥٥٢/٤ (الهمزة، ١/١٠٤)؛ الكشّاف للزمخشري، ٦٠٣/٤. وهو جزء مِن حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ٢٤٠/١.

سُورَةُ الهُمَزَة

مكيةٌ، وآيُها تسعٌ بلا خلافٍ في الأمرَين.

ولمَّا ذكر سبحانه فيما قبلَها أنَّ الإنسان سوى مَن استثنَى في خُسرٍ بيَّن عز وجل فيها أحوالَ بعضِ الخاسرين، فقال عز مِن قائل:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ تقدَّم الكلامُ على إعراب مثل هذه الجملة[1]. والهَمزُ الكَسْرُ كالهَزْمِ، واللَّمزُ الطَّعْنُ كاللَّهزِ، شاعا في الكسر من أعراض الناس والغضِّ منهم واغتيابهم والطَّعن فيهم، وأصلُ ذلك كان استعارةً؛ لأنَّه لا يُتصوَّر الكسرُ والطَّعنُ الحقيقيَّان [إلا] في الأجسام، فصار حقيقةً عرفيَّة [في] ذلك[2].

وبناءُ فُعَلَة يدلُّ على الاعتياد، فلا يقال: ضُحَكَة ولُعَنَة إلَّا للمُكْثِرِ المتعوِّد، قال زياد الأعجم:

إذا لقيتُك عن شَحْطٍ تُكاشِرُني ... وإنْ تغيَّبْتُ كنتَ الهامزَ اللُّمَزَه[3]

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وجماعة عن ابن عباس أنَّه سُئِل عن ذلك فقال:

---

(١) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٥]، وقوله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.

(٢) حاشية الشهاب ٨/ ٣٩٧، وما بين حاصرتين منه.

(٣) ديوان زياد الأعجم ص١٢٧، ومجاز القرآن ١/ ٢٦٣، وجمهرة اللغة ٣/ ١٨، وهو دون نسبة في تفسير الطبري ١١/ ٥٠٥، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٦١، والقرطبي ٢٢/ ٤٦٩، ولسان العرب، وتاج العروس (لمز). ورواية الديوان:

إذا لقيتُك تُبْدي لي مكاشرة ... وإنْ أُغِب فَلأَنْتَ الهامز اللُّمَزَهْ

هو المشَّاءُ بالنميمةِ، المفرِّقُ بين الجمع، المُغري بين الإخوان[١].

وأخرج ابن أبي حاتم وعبد بن حميد وغيرهما عن مجاهد: الهُمَزَة: الطَّعَّان في الناس، واللُّمَزَة: الطَّعَّان في الأنساب.

وأخرج عبد بن حميد عن أبي العالية: الهَمْزُ في الوجه، واللَّمْزُ في الخلف[٢].

وأخرج البيهقي في «الشعب» عن ابن جريج: الهَمْزُ بالعين والشِّدْق واليد، واللَّمْزُ باللسان[٣]. وقيل غير ذلك، وما تقدَّمَ أجمعُ.

وقرأ الباقر رضي الله عنه: «لكل هُمْزة لُمْزَة» بسكون الميم فيهما[٤] على البناء الشائع في معنى المفعول، وهو المَسْخَرة الذي يأتي بالأضاحيك فيُضْحَك منه ويُشتَم ويُهْمَز ويُلْمَز.

ونزل ذلك على ما أخرج ابن أبي حاتم من طريق ابن إسحاق عن عثمان بن عمر في أُبي بن خلف[٥].

وعلى ما أخرج عن السدي في أُبيِّ بن عمر الثقفي الشهير بالأخنس بن شَرِيق، فإنَّه كان مِغْتاباً كثيرَ الوقيعة[٦].

وعلى ما قال ابن إسحاق: في أُمية بن خلف الجُمَحي، وكان يهمزُ النبيَّ ﷺ ويَعِيبُه[٧].

---

(١) تفسير الطبري ٢٤/ ٦١٦-٦١٧، وعزاه لابن المنذر السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٩٢، وأخرجه أيضاً وكيع في الزهد (٤٤٧)، وهناد في الزهد (١٢١٤).

(٢) الأثران في الدر المنثور ٦/ ٣٩٢، وأخرجهما الطبري ٢٤/ ٦١٧-٦١٨.

(٣) شعب الإيمان (٦٧٥٢).

(٤) تفسير القرطبي ٢٠/ ٤٦٩، والبحر المحيط ٨/ ٥١٠.

(٥) أسباب النزول للسيوطي ص ٤٤٢، والدر المنثور ٦/ ٣٩٠، ووقع في مطبوع الدر: جميل بن عامر، بدل: أبي بن خلف.

(٦) عزاه لابن أبي حاتم السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٩٢.

(٧) السيرة النبوية ١/ ٣٥٦.

وعلى ما أخرج ابن جرير وغيره عن مجاهد: في جميل بن عامر[١].

وعلى ما قيل: في الوليد بن المغيرة واغتيابِهِ لرسول الله ﷺ وغَضِّه منه.

وعلى قولٍ: في العاص بن وائل.

ويجوزُ أن يكونَ نازلاً في جميع مَن ذُكر، لكن استُشكِلَ نزولها في الأخنس بأنَّه على ما صحَّحه ابنُ حجر في «الإصابة» أسلم[٢]، وكان من المؤلَّفة قلوبُهم، فلا يتأتَّى الوعيدُ الآتي في حقِّه، فإمَّا أنْ لا يصحَّ ذلك، أو لا يصحَّ إسلامُه.

وأيضاً استُشكلَت قراءةُ الباقر رضي الله عنه بناءً على ما سمعتَ في معناها وكونِ الآية نازلةً في الوليد بن المغيرة ونحوه من عظماء قريش.

وأُجيبَ بأنَّ ما تقدَّم فيها أصلُ وضعِ اللفظ، ثم عمَّ لكلِّ مَن يُكثِرُ الغيبة والطَّعن وإنْ لم يكن يُضْحَك منه ويُشتم.

ثم إنَّ العموم هو المراد على جميع الأقوال، أي: ويلٌ لكلِّ هُمَزة لمزة، كافراً كان أو مؤمناً، والقصد إلى نهي الإنسان عن ذَيْنك الفعلَين وتقبيحِهما وإن كان النزول على الكفار، وهذا شاهدٌ بيِّنٌ على أنَّ الكافر مكلَّفٌ بالفروع مؤاخذٌ بها[٣]، وبه اندفَع ما في «التأويلات» مِن أنَّه كيف عِيبَ الكافرُ بهذَين الفعلَين مع أنَّ فيه حالاً أقبحَ منهما[٤] وهو الكفر؟ وأمَّا ما أجابَ به مِن أنَّ الكفرَ غيرُ قبيحٍ لنفسه بخلافهما[٥]، فلا يخفَى ضعفُه؛ لأنَّ فَوْتَ الاعتقادِ الصحيح أقبحُ من كلِّ شيء قبيح.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا﴾ بدلٌ من «كلِّ» بدلَ كلٍّ، وقيل: بدلَ بعضٍ من كلّ. وقال الجاربردي: يجوزُ أنْ يكونَ صفةً له لأنَّه معرفةٌ، على ما ذكره

---

(١) كذا ذكر، والصواب أن الطبري أخرجه من كلام رجل من أهل الرقة. تفسير الطبري ٢٤/ ٦١٩، وأسباب النزول للسيوطي ص ٤٣٨.

(٢) الإصابة ١/ ٣٦.

(٣) من قوله: وأجيب بأن ما تقدم... إلى قوله: مؤاخذ بها، ليس في (م).

(٤) في الأصل: منها.

(٥) تأويلات أهل السنة ٥/ ٥١٨.

الزمخشري في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١] إذ جعل جملة «معها سائق» حالاً من «كل نفس» لذلك[١]. ولا يخفى ما فيه.

ويجوزُ أنْ يكون منصوباً أو مرفوعاً على الذمِّ.

وتنكير «مالاً» للتفخيم والتكثير، وقد كان عند القائلين إنَّها نزلَت في الأخنس أربعةَ آلاف دينار، وقيل: عشرة آلاف.

وجوَّزَ أن يكونَ للتحقير والتقليل باعتبار أنَّه عند الله تعالى أقلُّ وأحقرُ شيء.

وقرأ الحسن وأبو جعفر وابن عامر والأخوان: «جمَّع» بشدِّ الميم[٢] للتكثير، وهو أوفقُ بقوله تعالى: ﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ أي: عدَّه مرةً بعد أخرى حبًّا له وشَغَفاً به.

وقيل: جَعَله أصنافاً وأنواعاً كعَقَار ومَتاع ونقود، حكاه في «التأويلات»[٣].

وقال غيرُ واحدٍ: أي: جعله عُدَّةً ومدَّخراً لنوائب الدهر ومصائبه.

وقرأ الحسن والكلبي: «وَعَدَدَه» بالتخفيف[٤]، فقيل: معناه: وَعَدَّه، فهو فعلٌ ماضٍ فُكَّ إدغامُه على خلاف القياس كما في قوله:

مَهْلاً أعاذلَ هل جَرَّبتِ مِن خُلُقي أنِّي أَجُودُ لِأَقْوامٍ وإنْ ضَنِنُوا[٥]

وقيل: هو اسمٌ بمعنى العدد المعروف، معطوفٌ على مالِه، أي: جمع مالَه وضبط عدَدَه وأحصاه، وليس ذلك على ما في «الكشف» من باب:

علفتُها تبناً وماءً باردا[٦]

---

(١) الكشاف ٤/ ٧.

(٢) التيسير ص٢٢٥، والنشر ٢/ ٤٠٣ عن أبي جعفر وابن عامر والأخوين (حمزة والكسائي)، وهي قراءة خلف ويعقوب برواية روح. وقراءة الحسن في البحر المحيط ٨/ ٥١٠.

(٣) تأويلات أهل السنة ٥/ ٥١٩، وحاشية الشهاب ٨/ ٣٩٧.

(٤) القراءات الشاذة ص١٧٩، والبحر المحيط ٨/ ٥١٠.

(٥) البيت لقعنب بن أم صاحب، كما في الكتاب ٣/ ٥٣٥، والخصائص ١/ ١٦٠، والحماسة البصرية ٢/ ٧٦، ومختارات ابن الشجري ١/ ٧، واللسان (ضنن). وجاء في المصادر: قد جرّبت، بدل: هل جرّبت.

(٦) سلف عند تفسير الآية (٣) من سورة النساء.

لأنَّ جمْعَ العدد عبارةٌ عن ضَبْطه وإحصائه، فلا يحتاجُ إلى تكلُّف.

وعلى الوجهَين أيِّد بالقراءة المذكورة المعنى الأولُ لقراءة الجمهور.

وقيل: هو اسم بمعنى الأتباع والأنصار؛ يقال: فلانٌ ذو عَدَدٍ وعُدَد، إذا كان له عَدَدٌ وافرٌ من الأنصار وما يُصلحُهم، وهو معطوف على مالِه أيضاً، أي: جمع مالَه وقومَه الذين ينصرونه.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ جملةٌ حالية أو استئنافيةٌ، و«أخلده» وخلَّده بمعنًى، أي: تركه خالداً، أي: ماكثاً مُكثاً لا يتناهَى، أو مكثاً طويلاً جدًّا، والكلام من باب الاستعارة التمثيلية، والمرادُ أنَّ المالَ طوَّل أملَه ومنَّاه الأمانيَّ البعيدةَ، فهو يعملُ مِن تشييد البنيانِ، وغرسِ الأشجار، وكَرْيِ الأنهار، ونحو ذلك، عَمَلَ مَن يظنُّ أنَّ[1] مالَه أبقاه حيًّا.

والإظهارُ في مقام الإضمار لزيادة التقرير، والتعبيرُ بالماضي للمبالغة في المعنى المراد.

وجوِّز أنْ يُراد أنَّه حاسِبٌ ذلك حقيقةً لفَرْط غرورِه واشتغاله بالجمع والتكاثر عما أمامَه من قوارع الآخرة، أو لِزَعْمِه أنَّ الحياة والسلامةَ عن الأمراض والآفات تدورُ على مراعاة الأسباب الظاهرة، وأنَّ المال هو المحورُ لكرَّتها، والملكُ المطاع في مدينتها.

وقيل: المرادُ أنَّه يحسب المالَ من المخلِّدات، ولا نظر فيه إلى أنَّ الخلودَ دنيوي أو أُخرَوي ذكراً أو عيناً، إنما النظرُ في إثبات هذه الخاصة للمال، والغرضُ منه التعريضُ بأنَّ ثَمَّ مخلِّداً ينبغي للعاقل أنْ يَكُبَّ عليه، وهو السعي للآخرة. وهو بعيدٌ جدًّا، ولذا لم يجعل بعضُ الأجلة التعريضَ وجهاً مستقلًّا. وزعم عصامُ الدين أنَّه يحتمل أن يكونَ فاعلُ «أخلد» الحاسبُ، ومفعوله المال، أي: يظنُّ أنْ يَحفَظ مالَه أبداً، ولا يعرف أنَّه معرَّضٌ للحوادث أو للمفارقة بالموت، كما قيل: بشِّرْ مالَ البخيل بحادث أو وارث. وهو لعمري مما لا عصام له.

---

(١) في (م): أنه ماله.

﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ له عن ذلك الحسبان الباطلِ، أو عنه وعن جمع المال وحبِّه المفرط على ما قيل. واستُظهر أنَّه ردعٌ عن الهمز واللَّمز، وتُعقِّب بأنَّه بعيدٌ لفظاً ومعنًى.

وأنا لا أرى بأساً في كون ذلك ردعاً له عن كلِّ ما تضمَّنته الجملُ السابقة من الصفات القبيحة.

وقوله تعالى: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ جوابُ قسم مقدَّر، والجملةُ استئنافٌ مبيِّنٌ لعلة الردع، أي: والله لَيُطْرَحَنَّ بسبب أفعاله المذكورة ﴿فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ أي: في النار التي من شأنها أنْ تحطِمَ كلَّ مَن يُلقَى فيها. وبناء فُعَلَة لتنزيل الفعل ـ لكونه طبيعيًّا ـ منزلةَ المعتاد.

والحَطْم: كسر الشيء، كالهَشْم، ثم استُعمل لكلِّ كسر متناهٍ، وأنشدوا:

إنَّا حَطَمنا بالقَضيب مُصعَبَا يومَ كَسَرنا أَنفَه لِيغضَبَا[1]

ويقال: رجلٌ حُطَمَة، أي: أكول، تشبيهاً له بالنار، ولذا قيل في أكول:

كأنَّما في جوفه تَنُّور[2]

وفسَّر الضحاك «الحطمة» هنا بالدَّرك الرابع من النار.

وقال الكلبي: هي الطبقةُ السادسةُ من جهنم. وحكى القشيري عنه: أنَّها الدرك الثاني.

وقال الواحدي: هي بابٌ من أبواب جهنَّم[3].

وزعم أبو صالح أنَّها النار التي في قبورهم. وليس بشيءٍ.

(١) البيت لصخير بن أبي الجهم، كما في المنمَّق لابن حبيب ص٣٦٦، وتاريخ ابن عساكر ٢٤/ ٥، وفيهما: نحن خطمنا. . .، ومصعب هو ابن عبد الرحمن بن عوف، كما قال ابن حبيب. ومعنى خطمه: ضرب أنفه. القاموس (خطم).
(٢) البيت في المفردات للأصفهاني، مادة (حطم).
(٣) الأقوال السالفة في البحر المحيط ٨/ ٥١٠.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥﴾ لتهويل أمرها ببيان أنَّها ليسَت من الأمور التي تنالُها عقولُ الخلق.

وقرأ علي كرم الله تعالى وجهه والحسن بخلافٍ عنه وابن محيصن وحميد وهارون عن أبي عمرو: «لَيُنْبذانِّ» بضمير الاثنين[(١)] العائد على «الهُمَزَة» وماله.

وعن الحسن أيضاً: «لينبذُنَّ» بضم الذال[(٢)] وحذف ضمير الجمع، فقيل: هو راجعٌ «لكل همزة» باعتبار أنَّه متعدِّد، وقيل: له ولعدَدِه، أي: أتباعه وأنصاره بناءً على ما سمعتَ في قراءته هناك.

وعن أبي عمرو: «لَنَنْبِذَنَّه» بنون العظمة وهاء النصب ونون التأكيد[(٣)].

وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه: «في الحاطمة وما أدراك ما الحاطمة»[(٤)].

﴿نَارُ ٱللَّهِ﴾ خبرُ مبتدأ محذوفٍ، والجملةُ لبيان شأن المسؤول عنها، أي: هي نارُ الله ﴿ٱلۡمُوقَدَةُ﴾ بأمر الله عز وجل. وفي إضافتها إليه سبحانه ووَصْفها بالإيقاد من تهويل أمرها ما لا مزيدَ عليه.

﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ۝٧﴾ أي: تعلُو أوساطَ القلوب وتغشاها، وتخصيصُها بالذكر لِمَا أنَّ الفؤادَ ألطفُ ما في الجسد وأشدُّه تألُّماً بأدنى أذى يمسُّه، أو لأنَّه محلُّ العقائد الزائغةِ والنيات الخبيثةِ والملكات القبيحة، ومنشَأ الأعمال السيئة، فهو أنسبُ بما تقدَّم من جميع أجزاء الجسد.

وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب أنَّه قال في الآية:

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٩٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٢٢، وتفسير القرطبي ٢٢/ ٤٧٢-٤٧٣، والبحر المحيط ٨/ ٥١٠، وينظر القراءات الشاذة ص ١٧٩، وهي خلاف المشهور عن أبي عمرو.

(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٧٣، والبحر المحيط ٨/ ٥١٠.

(٣) نسبها القرطبي في تفسيره ٢٢/ ٤٧٣ للحسن، وقراءة أبي عمرو في القراءات الشاذةص١٧٩، والبحر المحيط ٨/ ٥١٠: لينبذنّه.

(٤) البحر ٨/ ٥١٠، ودون نسبة في القراءات الشاذة ص١٧٩.

تأكلُ كلَّ شيءٍ منه حتى تنتهي إلى فؤاده، فإذا بلَغَت فؤادَه ابتدأ خَلْقُه[١].

وجوّز أنْ يراد الاطِّلاعُ العلمي، والكلام على سبيل المجاز، وذلك أنَّه لَمَّا كان لكلٍّ من المعذَّبين عذابٌ من النار على قَدْرِ ذنبه المتولِّد من صفات قلبه قيل: إنَّها تُطالع الأفئدة التي هي معادن الذنوب، فتَعلَم ما فيها، فتُجازي كلًّا بحَسَب ما فيه من الصفة المقتضية للعذاب.

وأرباب الإشارة يقولون: إنَّ ما ذكر إشارةٌ إلى العذاب الروحاني الذي هو أشدُّ العذاب.

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾ أي: مطبقة، وتمام الكلام مرَّ في سورة البلد[٢].

﴿فِي عَمَدٍ﴾ جمع عمود، كما قال الراغب[٣] والفراء[٤]، وقال أبو عبيدة[٥]: جمع عماد. وفي «البحر»[٦]: وهو اسم جمعٍ، الواحدُ عمود.

وقرأ الأخوان وأبو بكر: «عُمُد» بضمَّتين[٧]. وهارون عن أبي عمرو بضم العين وسكون الميم[٨]. وهو في القراءَتَين جمع عمود بلا خلاف.

وقوله تعالى: ﴿مُّمَدَّدَةٍ﴾ صفةُ «عمد» في القراءات الثلاث، أي: طوال.

والجارُّ والمجرور في موضع الحال من الضمير المجرور في «عليهم» أي: كائنين في عمد ممددة، أي: موثَّقين فيها مثلَ المقاطر، وهي خُشُبٌ أو جذوعٌ كبارٌ فيها خُروقٌ يُوضَع فيها أَرْجُلُ المحبوسين من اللصوص ونحوهم.

أو خبرٌ لمبتدأ محذوف، أي: هم كائنون في عمد موثَّقون فيها.

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٣٩٣.
(٢) آية رقم (٢٠).
(٣) في مفرداته (عمد).
(٤) في معاني القرآن ٣/ ٣٩١.
(٥) في مجاز القرآن ٢/ ٣١١.
(٦) ٨/ ٥١٠-٥١١.
(٧) التيسير ص٢٢٥، والنشر ٢/ ٤٠٣، وهي قراءة خلف.
(٨) القراءات الشاذة ص١٧٩، والبحر المحيط ٨/ ٥١٠.

وهي - والعياذ بالله تعالى - على ما روي عن ابن زيد: عمد من حديد. وأخرج ابن جرير وغيره عن ابن عباس أنَّها من نار[(١)].

واستظهر بعضُهم أنَّ العمد تُمدَّدُ على الأبواب بعد أنْ تُوصَد عليهم تأكيداً ليأسهم واستيثاقاً في استيثاق، وفي حديث طويل أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن أبي هريرة مرفوعاً: «أنَّ الله تعالى بعد أنْ يُخرجَ من النار عصاةَ المؤمنين، وأطولُهم مكثاً فيها مَن يمكُث سبعةَ آلافِ سنةٍ، يبعثُ عز وجل إلى أهل النار ملائكةً بأطباق من نارٍ ومساميرَ من نار وعمدٍ من نار، فيطبَقُ عليهم بتلك الأطباق ويُشَدُّ بتلك المسامير وتمدَّد تلك العمد، ولا يبقَى فيها خَلَلٌ يدخل فيه رَوحٌ، ولا يخرج منه غمٌّ، وينساهم الجبار عز وجل على عَرْشه، ويتشاغَلُ أهلُ الجنة بنعيمهم، ولا يستغيثون بعدها أبداً، وينقطعُ الكلام فيكونُ كلامهم زفيراً وشهيقاً» وفيه: «فذلك قولُه تعالى: (إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ)»[(٢)]. اللهم أجرنا من النار يا خيرَ مستجار.

وعلى هذا يكون الجارُّ والمجرور متعلِّقاً بـ «مؤصدة»، حالاً من الضمير فيها، كما قاله صاحب «الكشف»، وحكاه الطيبي.

وفي «الإرشاد» عن أبي البقاء أنَّه صفةٌ لـ «مؤصدة»[(٣)].

وقال بعضٌ: لا مانعَ عليه أنْ يكون صلةَ «مؤصدة»، على معنى أنَّ الأبواب أُوصِدَت بالعُمُد وسُدَّت بها، وأُيِّدَ بما أخرج ابن جرير عن ابن عباس أنَّه قال في الآية: أدخلَهم في عمد وتمدَّدَت عليهم في أعناقهم السلاسل، فسُدَّت بها الأبواب[(٤)].

ثم إنَّ ما ذُكر - لإشعاره بالخلود وأَشدِّية العذاب - يُناسبُ كونَ المحدَّث عنهم كفاراً هَمَزُوا ولمزوا خيرَ البشر ﷺ، وما تقدَّم من حمل العمد على المقاطر قيل:

---

(١) عزاه لابن جرير السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٩٣.
(٢) نوادر الأصول ص١٣٩.
(٣) تفسير أبي السعود ٩/ ١٩٩، وقول أبي البقاء في إملاء ما من به الرحمن ٤/ ٤٨٣.
(٤) الطبري ٢٤/ ٦٢٥.

يُناسب العمومَ؛ لأنَّ المغتاب كأنَّه سارقٌ من أعراض الناس، فيناسب أنْ يعذَّب بالمقاطر كاللصوص، فلا يلزمُ الخلود.

وقد يقال: من تأمَّل في هذه السورة ظهر له العجَبُ العجاب من التناسب، فإنَّه لَمَّا بُولِغَ في الوصف في قوله تعالى: ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ قيل: ﴿الْحُطَمَةِ﴾ للتعادل، ولَمَّا أفاد ذلك كسر الأعراض قوبل بكسر الأضلاع المدلول عليه بـ «الحطمة»، وجيء بالنبذ المنبئ عن الاستحقار في مقابلة ما ظنَّ الهامز اللَّامز بنفسه من الكرامة، ولَمَّا كان منشأُ جمع المال استيلاءَ حبِّه على القلب جيء في مقابله: ﴿تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾، ولَمَّا كان من شأن جامع المال المحبِّ له أنْ يأصد عليه، قيل في مقابله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ ولَمَّا تضمَّن ذلك طولَ الأمل قيل: ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ وقد صرَّح بذلك بعضُ الأجلة، فليتأمل والله تعالى أعلم.